ويؤخذ من ارصاد سنة ١٩٠٣ — ١٩٠٤ في الوجه البحري ان المطر في الاسكندرية كان اغزر منهُ في سائر الاماكن التي قيس المطر فيها فبلغ مجموع ما سقط منهُ فيها بين شهري نوفمبر ومارس ١٠٩٫٣ المليمتر. وبلغ ما سقط في يناير وحده ٦٢٫٧ المليمتر ويلي الاسكندرية المكس فكفر الدوار فالعطف. واقلهُ في الخطاطبة (٢٧٫٥) وبلغ سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ في الاسكندرية ١٩٣٫٩ المليمتر وكان معظمهُ في نوفمبر (٦٤٫٩ المليمتر) و١٧٦٫١ المليمتر في العطف و٢٤٥٫٩ في كفر الدوار و٢٤٦ في المكس. واقلهُ في الخطاطبة ايضاً (٢١٫٦)

اما في السودان فقد بلغ مجموع ما وقع سنة ١٩٠٤ من المطر ٢٣١٦ مليمترًا (نحو مترين وثلث) في مبارارا (بحيرة فكتوريا) ومعظمهُ في نوفمبر فبلغ ٣٤٥ مليمترًا. وكان على اقلهِ في الخرطوم حيث وقع ١٣٠ مليمترًا منها ٧٦ في شهر اغسطس

محمد علي باشا

تمهيد

احتفل سكان القطر المصري في الثالث عشر من شهر مايو الماضي بمئة سنة مضت على ولاية محمد علي باشا جد العائلة الخديوية ولقد اصابوا في ما فعلوا لأن لمحمد علي فضلاً لا ينكر على هذا القطر. فان الديار المصرية مُنيت بالخطوب على اثر خروج الفرنسوية منها في اوائل القرن الماضي حتى ان مَن يطّلع على تاريخها في تلك الايام يعجب من صبر الانسان على تحمُّل المحن ويستغرب عدم انقراض السكان منها وبقاء شيء مما يقال لهُ زراعة وعمارة فيها. وتاريخها حينئذٍ مبسوط احسن بسط بقلم رجل بُعث الى هذه الديار ليكون شاهدًا على جور الانسان وصبره وعاقبة الظلم على اهلهِ وهو المؤرخ المدقق الشيخ عبد الرحمن الجبرتي. ولا يُعلَم فضل محمد علي الاَّ بوصف ما كانت عليهِ البلاد قبلما تولاَّها وما صارت اليهِ مدة ولايتهِ. وسنتوخّى بسط ذلك في الصفحات التالية معتمدين على ما ذكرهُ الجبرتي في تاريخهِ وعلي باشا مبارك في خططهِ وبعض الكتّاب الاوربيين في تواريخهم ورحلاتهم

فتح نبوليون القطر المصري في اواخر القرن الثامن عشر وفي نيتهِ ان يصل الى الهند ويخرج الانكليز منها وينشئ مملكة شرقية تفوق الممالك الغربيَّة لكنهُ لم يفلح الاَّ في كسر شوكة

المماليك . وتعقّبهُ الانكليز الى هذا القطر وساعدتهم الجنود العثمانية والاهالي فاخرجوا الفرنسويين سنة في اواخر سنة ١٨٠١ بعد ان قُتل الالوف من رجالهم واتفقوا البدرات من اموالهم وغرّقوا البلاد المحيطة بالاسكندرية

قلنا ان الفرنسويين كسروا شوكة المماليك لكنهم لم يستطيعوا استئصالهم او لم يتوخّوا ذلك فلما جاء الانكليز ساعدهم المماليك على الفرنسويين انتقاماً منهم فذكر لهم الانكليز هذا الصنع واراد وا ان يكافئوهم خيراً و يعيدوا اليهم ولاية الديار المصرية لكن الدولة العلية كانت فاقمة عليهم عالمةً ان سلطتها لا تثبت في البلاد ما داموا فيها فلم تترك سبيلاً للتنكيل بهم ولم يتركوا هم واسطة للانتقام من رجالها وتخريب البلاد في سبيل ذلك

والمماليك عبيد او اسرى بيض اشتراهم الملك الصالح نجم الدين الايوبي وعتقهم وجعلهم في حرسهِ وبطانتهِ ومن امراء دولتهِ لانهم كانوا معهُ لما سجن في قلعة الكرك وثبتوا على ولائهِ حين تركهُ خواصهُ من الاكراد فلما توفي سنة ٦٤٧ للهجرة (١٢٤٩ للميلاد) تزوجت زوجتهُ شجرة الدر واحداً منهم وجعلتهُ ملكاً على الديار المصرية وهو الملك المعز عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني وهو اول المماليك البحرية الذين امتدت دولتهم من سنة ١٢٥٠ ميلادية الى سنة ١٣٨٢ ومن اشهرهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري والملك المنصور قلاوون والملك الناصر بن قلاوون وكانت دولتهم دولة جاه عريض وتجد باذخ لان كثيرين منهم كانوا متعلمين متفقهين . نقل علي باشا مبارك في خططهِ انهُ لما جلس السلطان صلاح الدين الايوبي اخذ يغير عوائد الفاطميين فكان اول شيء اجراهُ من ذلك ابطال مذاهب الشيعة وعزل قضاتهم واستحوذ على املاك الفاطميين وفرّق املاك امرائهم على امراء الاكراد واستبدل العسكر فبعد ان كان من العرب والارمن والترك صار جميعهُ من الجركس والروم والاكراد ثم تغير بعد الايوبية فصار من مماليك الشراء . ولما كثرت الوقائع في المشرق بين التتر ومن جاورهم وبيع الكثير من الاسرى اشترى الملك الصالح نجم الدين جماعة منهم وسماهم بالبحرية فترقى كثيرون منهم الى المراتب الرفيعة حتى تملك منهم ناس اولهم المعز ايبك . وكان لملوك مصر وقتئذٍ عناية بالمماليك من جميع الاجناس واحتفال زائد بتربيتهم وكانوا يسكنونهم في القلعة ويعلمونهم القراءة والكتابة وكان لكل طائفة منهم فقيه يعلمهم امور الدين والآداب والقرآن فاذا شبَّ احدهم وقوي سُلّم لمعلم يعلمهُ انواع الحرب من رمي النشاب ولعب السيف والرمح وكانوا اذا ركبوا للرمي لا يجسر جندي ان يدنو منهم وكانوا يتقلونهم في الخدم على حسب الاستعداد حتى يكون منهم الامير والوزير ولم يزالوا كذلك الى ان كان زمن الناصر فرج الثاني من دولة المماليك

الثانية ذاهمس شأنهم واصبحوا من ارذل الناس واحقرهم واجهلهم باسر الدنيا واكثرهم اعراضاً عن الدين فكان ذلك داعياً لفساد حال المملكة وخرابها"

والذين كتبوا عنهم من الافرنج المعاصرين لهم وصفوهم بالبسالة وقالوا انهم كانوا امهر فرسان العصر وانتكهم

اما دولة المماليك الثانية المدعوين بالمماليك الشراكسة فابتدأت بالملك الظاهر برقوق وكان عادلاً محباً للعلم والعلماء وامتدت الى ايام الملك الاشرف طومان باي الذي قبض عليه السلطان سليم العثماني وقتله في ١٩ ربيع الاول سنة ٩٢٣ هجرية (١٥١٧ مسيحية) وبه انتهت دولة المماليك الشراكسة او البرجية ودخلت مصر من ذلك الحين في حوزة العثمانيين يولون عليها الولاة يأتونها لارهاق الرعية وتجريدها عن عظمها بناظرهم في ذلك من بقي في البلاد من المماليك الى ان دخلتها الجنود الفرنسوية ثم اجلت عنها واعيدت الى آل عثمان وكان محمد علي بين الجنود العثمانية التي جاءت لمعاونة الانكليز على اخراج الفرنسوية من مصر

وهو من اهالي قوله فرضة من اعمال الروملي ولد سنة ١٧٦٩ وتوفي ابوه وهو فتى فكفله عمه ثم قتل فكفله رجل من اصدقاء والده فربي اميًّا لا رشد له الا ذكاؤه الفطري وعلو همته وكان يجاهر بذلك ويفاخر به. قال لقنصل الانكليز المستر باركر في اول مقابلة قابله فيها "اني ولدت في قرية من بلاد الالبانيط وكان لابي عشرة اولاد غيري ماتوا كلهم الآن (سنة ١٨٢٦) ولكنهم لما كانوا احياء لم يكن احد منهم يخالفني في شيء وقد تركت بلدي قبلما بلغت سن الرشد ولكن كان اهل بلدي يستشيرونني في كل امر واتيت الى هذه البلاد وانا لا املك شيئاً. ولما كنت في رتبة بكباشي جاء مورّد الخيام ليعطي كلاً من البكباشية خيمة وكانوا كلهم اقدم مني ويحق لهم التقدم عليّ لكن مورّد الخيام قال لهم تنحّوا كلكم لان هذا الشاب محمد علي مقدّم عليكم فاعطاني خيمتي اولاً. وارتقيت رويداً رويداً بمعونة الله الى ان بلغت هذا الحد وليس لي معلم". وشهد غيره من المؤرخين المعاصرين لمحمد علي من الافرنج انه فعل لمصر ما فعله نبوليون لفرنسا وكان مثل نبوليون في الهمة والاقدام ولو لا اشتغال اوربا باسورها الداخلية وقت وفاته لاهتمت له كما تهتم لوفاة ملك عظيم الشان. وسنبين في الجزء التالي كيف كان القطر المصري لما وُلّي محمد علي عليه وما اجراه فيه مدة ولايته

آية العصر

هو النبذة الخامسة من ديوان الشاعر العصري المشهور صاحب السعادة سليم افندي عنحوري الدمشقي نظمهُ في العام الماضي وقد قال في ديباجتهِ " ان الطبيعة اوجدتني نظّاماً مكثّراً مطبوعاً في عالم الخيال تيّاهاً وفي اودية الفكر هيّاماً ولوعاً اسرح منذ كنت يافعاً في حدائق التصوُّر هنيهة فانسج القصيدة عفو الساعة وفيض القريحة لا مقتدياً بافرنجي لانني اجيل لسانهُ ولا مهتدياً بتركي لان ديباجي لا يشاكل ديانهُ . وانا مقسَّم الخواطر موزَّع البال بين اشغال همم وهموم اشغال . ثم ابعث بها الى عالم النشر او اذيعها بين القراء بنت يومها رافلة في بهاء حللها وحلاها . مختالة بقشيب شبابها ونضير صباها لا يحوم عليها طائر التأمل للتصحيح او التحسين ولا يلمّ بها رائع اليراعة للاصلاح والتزيين . تلك نقيصة عُرفت بها منذ صباي بين مريديَّ واوليائي فان كنت لا احسن واجيد فالذنب ذنبي وما الله بظلاّم للعبيد "

وقد عرفنا الناظم فاذا هو كما قال يودّعنا في المساء وقد ذُكر لهُ موضوع ويأتينا في الصباح وقد نظم فيهِ الخمسين والستين بيتاً

وفي هذا الديوان مئة صفحة حافلة بالشعر الصحيح اي بالالفاظ المنظومة التي تعبّر عن المعاني الخيالية على اسلوب ترتاح لهُ نفس من يفهم تلك الالفاظ ويدرك خاتيك المعاني المتجلية من خلالها. وهذا الشعر عصريٌّ ايضاً بمعنى انهُ قليل الالفاظ الغريبة والمعاني القديمة التي لم تعد مألوفة وجامع لكثير من المعاني الجديدة التي ولّدتها الحضارة في هذا العصر فيجد فيهِ المتعلمون فكاهة فلما يجدونها في غيرهِ لانهُ ينبه فيهم بائتلاف الافكار مدركات اكتسبوها حديثاً وفاقوا بها من تقدَّمهم من ابناء العصور السالفة ولذلك قد لا يستحسنهُ الذين لا يعلمونها ولو كانوا من ابناء العصر كقولهِ في مدح شوقي بك الشاعر العصري

لهُ في ارض طيبةَ معجزاتٌ يعيد لهولها الهرم العظيمُ
ففي نفثاتهِ بالسحر شعرٌ بنمّ عليهِ مطلعهُ الوسيمُ
وقد طبعت على عشق المعاني قلوب الغيد مذ وجد السديمُ
فلو سيزُستريس افاق يوماً لحار ونالهُ الحسد الذميمُ

وفي مدح خليل افندي مطران

نشأتَ على السجود بارض منفٍ فثاب الى الهدى الغاوي الاثيمُ
فكم اسمعت آيس المفدّى تراتيلاً تنيه بها الحلومُ

فما اصوات ممنونٍ بغنيٍ شروق الشمس اذ رنّع التليدُ
باعجب من رقيّ سحرت عقولاً هذذت بها فادركنا النجومُ
وآمونُ القريض يراك اهلاً وانت الكاهن الحبر العليمُ

وقوله في مصر

يا بلاداً فيها جرى النيل عذبا فسقاها واوسع الارض خصبا
ماؤها كالنضار لوناً لهذا نالَ منهُ الزرّاع وفراً وكسبا
بصعيد قد كان يحسب عبداً منذ قرن والآن يحسب ربّا
زمن الجود بيع ابخس بيع عاد تبراً قد ضلّ من قال تربا
رفع الحقّ راية العدل تزهو في رباهُ فصار للخلد تربا
ارض فرعون للحضارة امٌّ قبل عهد التاريخ تختال عجبا
مرّ الفانَ ثم الفٌ والفٌ حججاً والبلاد تسبي وتسبي
دولٌ قد تأسّلتْ ثم زالت ترضتها الايام شعباً فشعبا
كم اراقت باويس فيك دماه من بنيها تماثل النيل صبّا
يالعهد فيهِ كليبر اولى قرب بولاق منهُ للارض جنبا
في ابي قير مشهد مرّ قدماً فيهِ اضحت عمارة البحر شهبا

ثم استطرد الى مدح الانكليز وخاطبهم قائلاً

يا هداة العقول بل يا دهاةً اصبحوا اليوم للعوالم قطبا

لكنهُ ختم القصيدة بما يعدّ في العربية ذمّاً في معرض المدح فقال

كان آيس عند طيبة ربّا ليس بدعاً ان صرتم اليوم ربّا

وآيس الثور الذي كان يعبد في مصر فكأنهُ قال كان المصريون يعبدون الثور فلا عجب اذا عبدوكم . ولهُ تجوزات قليلة مثل هذه لو تأنّى قليلاً ما فاتهُ اصلاحها

وفي الديوان غزل يزري بالنسيم رقةً ويفعل بالنهى فعل الراح وزهريات عارضت زهريات الحلي ولا عجب فهي من انفاس ابن النفيحاء ومن ذلك قولهُ وقد سماها ربيع الحب

تساقط دمعُ الطلّ فابتسم الزهرُ فمن مدمعٍ درٌّ ومن مبسم درُّ
وغنّى هزار الدوح في الروض بكرةً فناح حمام الايكِ وانتحب النهرُ
وماست غصون البان تيهاً كانما سقاها الصبا خمراً فرنّحها السكرُ
وبان من الاكمام وردٌ مؤرّجٌ يحدّثنا عن سرو الخمرُ والجمرُ

اذا مخنهُ الشمسُ نورَ شعاعها ... اراك يواتيًا يظلّلها تبرُ
كأنّ الاقاحي حول نهر تنسّقت ... ثنايا العذارى والصباحُ لها نحرُ
كأنّ النواءَ الماء يسقي نباتها ... أفاعٍ من البلّور روّعها امرُ
كأنّ النبات الغض يغشى صعيدها ... حقول من الفيروز منبتهُ الشذرُ
كأنّ حنايا الآس بالحمل هودجٌ ... اقلّ بنات النور يلثمها القطرُ
نبيّا بنا صحبي نباكر روضةً ... يتمّ على انفاسها الطيبُ والعطرُ
كستها يدُ الابداع بالوشي حلّةً ... فتاهت وما من طبعها التيهُ والكبرُ
يسيل على الحصباء ماءٌ عتيقها ... كما سال منبثًّا على الانجم الفجرُ
يمرُّ على الاشجار عرف نسيمها ... فتطفو على الانهار من زهرها زُهرُ
يغرّدُ فيها العندليبُ مرددًا ... اساجيعَ لحنٍ دونها النظمُ والنثرُ
تلذُّ لاسماع الزمان كأنما ... تردّد فيها من معذّبتي ذكرُ
يمازجُ هذا القلب حال هي المنى ... يخالط هذا العقلَ شيءٌ هو السحرُ
الى مثل ذا تُصدى الأماني مجدّةً ... وفي مثل ذا يحلو التأمل والفكرُ

وقد اهداهُ الى رصفائهِ في تأييد دولة الشعر العصري وهم الشعراء الافاضل احمد شوقي ومحمد حافظ ابرهيم وخليل المطران . وحبذا لو اتحف ابناء العربية باشعار تاريخية (ايبك) حقيقيةً كانت او خيالية مثل الياذة هوميروس وانياد فرجيل والشاه نامه حتى يبطل زعم الاوربيين الذين يقولون ان الجنس السامي عاجز عن نظم هذا الشعر

حكمٌ وامثال

اذا دخل غريبٌ مدينة نبحثهُ كلابها

للحيوان حياة وللانسان حياتان . فانظر ايَّ الاثنين انت

الحبُّ فخر والمذلة في الغُرْ

العمر قصير ترتيب الاوقات يطيلهُ

الناس مُبصرون . ولكن عن قيمة الوقت عميان

سألوا عن الحكماء في مقاصير الكبراء . ما بال هولاء الوقوف لا ينشدونهُ في الكهوف